مهندسو الجهاد: العلاقة بين التعليم والتطرف العنيف"

ديجو جامبيتا وستيفن هيرتوج.

Engineers of Jihad: The Curious Connection between Violent Extremism and Education

By: Diego Gambetta & Steffen Hertog
Princeton University Press, 208 pp., $29.95, 2016, 9780691145174

عرض: سمية متولي السيد، مدرس مساعد بقسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة

يحاول كتاب "مهندسو الجهاد" تفسير أسباب ارتفاع تمثيل ممتهني الهندسة ودارسيها بين صفوف الجماعات الإسلامية المتطرفة العنيفة، وهو ما فتح المجال أمام المؤلفين لتوسيع نطاق التساؤل لعرض الخصائص المختلفة للأفراد المنضمين إلى صفوف الجماعات الإسلامية المتطرفة العنيفة، وما إذا كان هؤلاء الأفراد تلقوا تعليمهم في دول صناعية متقدمة أم لا، والخلفية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمتطرفين.

وقد قام الكتاب بتوزيع عينة الدراسة في دول أوروبية، مثل ألمانيا والمملكة المتحدة وإيطاليا، وبعض الدول الاسكندنافية مثل السويد، إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من دول الشرق الأوسط مثل جمهورية مصر العربية والعراق وسوريا ولبنان والدول الخليجية، ولم يغفل الكاتبان إسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة، إضافة إلى عدد من الدول الأفريقية والآسيوية التي شهدت تصاعداً للحركات الإسلامية المتطرفة والتي تنتهج العنف ضمن استراتيجيتها.

واعتماداً على أبحاث أكاديمية، ووثائق حكومية، ومواقع المنظمات الجهادية، لاسيما البيانات الببليوجرافية لعينة وصلت إلى 497 من الجهاديين، بالإضافة إلى مسح الصحف الشرق أوسطية - تمكن الباحثان ديجو جامبيتا وستيفان هيرتوج من الوصول إلى البيانات التعليمية لـ335 من العينة محل الدراسة، ووجدا أن 28 منهم أتموا تعليماً أقل من المرحلة الثانوية العامة، في حين أتم 76 منهم التعليم الثانوي، والبقية (231 شخصاً) أتموا أو مسجلون في التعليم العالي، ومنهم من تلقى تعليماً في دول غربية.

وسعى كل من ديجو جامبيتا وستيفن هيرتوج لاستخدام نظرية "الحرمان النسبي"، والتوقعات المتزايدة لتفسير أسباب انضمام دارسي وخريجي التخصصات العلمية النخبوية كالطب والهندسة والعلوم إلى الجماعات المتطرفة العنيفة، ويرى الكاتبان أنه يتجذر لدى هؤلاء الأفرد إحساساً بعدم العدالة والحرمان الذي يتعرضون له بعدما عانوا وأسرهم العمل الجاد للحصول على شهادة في تخصص نخبوي. وعليه، يميل هؤلاء الأفراد للشعور بأنهم حُرموا عنوة مما يستحقون ويتطلعون إليه بشكل دائم، مع إدراكهم التام أن لا حيلة لهم أو دوراً في تشكيل مستقبلهم الفردي أو مستقبل بلادهم، وهو ما ينطبق بصورة أساسية على الدول العربية.

ونظراً لأن الظاهرة تتجاوز حدود الدول العربية، وتشمل أفراداً وجماعات متطرفة في دول أوروبية وآسيوية، فقد كان لزاماً أن يقدم الكتاب مراجعة لنظرية الحرمان النسبي والتوقعات المتزايدة في السياق الغربي، وقد توصل الكتاب إلى أن هناك عدداً أقل من خريجي الجامعات بين المتطرفين الذين نشأوا في الدول الغربية، وذلك لأن الحراك الاجتماعي الذي تمنحه الشهادة الجامعية هو أعلى من ذلك بكثير هناك. وهذا يجعل طلاب الجامعة الساخطين الذين لم يكملوا تعليمهم وصغار المجرمين العاطلين عن العمل هم الذين يشكلون غالبية المقاتلين، غير أن الكتاب أكد في النهاية أن تحسن الأوضاع الاقتصادية ليس سبباً كافياً بحد ذاته لمنع ظهور الحركات الإسلامية العنيفة والمتطرفة، بل يمكن أن يكون سبباً لتوفير رأس المال اللازم لها، بما يوفر فرصاً لتمويلها وديمومتها.

وسعى الكتاب لعقد مقارنة بين الإيديولوجيات الراديكالية المتطرفة اليمينية واليسارية والإسلام السياسي من حيث المنطلقات، والقيم المشتركة، والنسق العقائدي، وخلص إلى أن هناك تقارباً شديداً بين حركات اليمين المتطرف ونظيراتها الإسلامية. وبشكل عام يمكن القول إن جوهر النسق العقائدي لليمين المتطرف والإسلام المتطرف يتشابهان إلى حد التماهي، حيث النظرة الميكانيكية للعالم والمجتمع المثالي والتي لا يتحقق تناسق النظام الاجتماعي خارجها.

وفي ختام الدراسة يفسر الباحثان ارتفاع قابلية دارسي وخريجي الهندسة على وجه التحديد للتأثر بالفكر الراديكالي اليميني أو الإسلامي، مقارنة بالتخصصات الأخرى بالإشارة إلى التركيبة العقلية الدارسة لهذا التخصص والتي تتأثر بطبيعة موضوعاته، لتتفاعل مع الطبيعة المتدينة والمحافظة للأفراد بشكل يجعل الفرد أكثر ميلاً لتبني الاتجاهات الراديكالية والمتطرفة.

ووفقاً لدراسة قام بها معهد كارنيجي في الولايات المتحدة الأمريكية، ثبت أن المهندسين هم أكثر الأكاديميين تديناً على الإطلاق (66.5%)، علاوة على أن 44% منهم ثبت أنهم "متدينون" و"محافظون" في الوقت ذاته، يليهم بعد ذلك الاقتصاديون، ثم الأطباء ودارسو العلوم، والإنسانيات والفنون، ثم القانون وأخيراً العلوم الاجتماعية، على الترتيب، ففي مقابل كل فرد متدين ومحافظ يتخصص في العلوم الاجتماعية مثلاً، هناك سبعة أفراد متدينين ومحافظين يتخصصون في الهندسة.